الفردوس الموجود

صـــــاحَ لَمّـــــا كُـــــبَّ أرْضـــــاً آدَمٌ: هـــا أديـــمٌ كُـــبَّ أرْضـــاً لِلأديـــم
هِـــيَ مَـــوتٌ أو حَيـــاةٌ فـــي الجَحـــيمْ لَعْنَـــةُ الحِرْمـــانِ مِـــنْ أرْضِ النَّعـــيم
فَأعـــادَ الـــرَّبُّ لِلعاصـــي النَّعـــيمْ فَأبـــاهُ قـــائلاً: رَبّـــي الـــرَّحيم
إنْ أبَيـــتَ التّائـــبَ ابْنـــاً فَـــارْمِيَنْ كُـــلَّ فَـــرْدَوسٍ إلـــى نـــارِ الجَحـــيم

***

يـــا إلهـــي بِـــكَ إيمـــاني عَظـــيمْ مِثْلَمـــا كَـــوَّنْتَني تُحْيـــي الـــرَّميم
حُبُّـــكَ الخـــالِقُ غَمْـــرٌ غـــامِرٌ وِسْـــعَ غَمْـــرِ البَحْـــرِ وَالغَيـــثِ العَمـــيم
قُتِـــلَ ابْنـــي بِيَـــدِ ابْنـــي وَأنـــا الوالِـــدُ الحَـــيُّ وَقـــودٌ فـــي الجَحـــيم
أحْـــيِ لـــي ابْنـــي وَأمِتْنـــي تائبـــاً فـــي يَـــدَي الـــرَّبِّ عَلـــى أرْضِ النَّعـــيم

***

يـــا إلهـــي الحَـــيُّ يـــا مَـــنْ لا يَمـــوتْ أبَـــدَ الآبـــادِ تَحْيـــا فـــي نَعـــيم
وَأنـــا آدَمَ أحْيـــا وَأمـــوتْ كُـــلَّ يَـــومٍ مِـــنْ حَيـــاتي فـــي جَحـــيم
يـــا إلهـــي يـــا عَظـــيمَ الجَبَـــروتْ أحْـــيِ لـــي ابْنـــي وَأمِـــتْ حُزْنـــي المُقـــيم
يـــا إلهـــي ســـاوِني بِـــالعَنْكَبوتْ فَهْـــوَ يَحْيـــا راضِـــياً حَتّـــى يَمـــوتْ
آدَمٌ بِالعَـــدْلِ يـــا رَبُّ يَمـــوتْ هكَـــذا حَـــوّاءُ بِالعَـــدْلِ تَمـــوتْ
فَأمِتْنـــا ذاكَ عَـــدْلٌ إنَّنـــا قَـــدْ عَصَـــينا الحَـــيَّ رَبَّ الصَّـــبَؤوتْ
وَاسْـــحَقِ ابْنـــي قاتِـــلِ ابْنـــي إنَّـــهُ حَيَّـــةٌ أو عَقْـــرَبٌ أو عَنْكَبـــوتْ
حَيـــرَةُ العَقْـــلِ لِمـــاذا ابْنـــي الّـــذي أبْهَـــجَ الـــرَّبَّ بِقُرْبـــانٍ يَمـــوتْ؟

***

يَتَشَـــهّى مَوتَـــهُ مِـــنْ كَرْبِـــهِ وَالإلـــهُ الـــرَّبُّ لَـــمْ يَلْطُـــفْ بِـــهِ
كُلّمـــا اسْتَنْشَـــقَ حَيًّـــا نَفَســـاً يَتَلَقّـــى طَعْنَـــةً فـــي قَلْبِـــهِ
اِبْنُـــهُ مِـــنْ صُـــلْبِهِ المَقْتـــولُ وَالقاتِـــلُ ابْـــنٌ بِكْـــرُهُ مِـــنْ صُـــلْبِهِ
صـــاحَ: رَبّـــي إنَّ مَـــنْ أحْيَيتَـــهُ يَتَشَـــهّى مَوتَـــهُ فـــي رَبِّـــهِ
كـــانَ شِـــبْلاً وَاقِعـــاً فـــي قَفَـــصٍ وَهْـــوَ يَبْكـــي أمَّـــهُ فـــي غابِـــهِ
يَقْضِـــمُ الفـــولاذَ مُغْتاظـــاً إلـــى أنْ يَســـيلَ الـــدَّمُ مِـــنْ أنْيابِـــهِ
وَهَـــوى مِـــنْ تَعَـــبٍ ثُـــمَّ اسْـــتَوى ثُـــمَّ أهْـــوى رَأسَـــهُ فـــي بابِـــهِ
فَتَهـــاوى جُثَّـــةً فـــي قَفَـــصٍ وَتَهـــاوَتْ روحُـــهُ فـــي غابِـــهِ

***

كـــانَ مَفْجوعـــاً خَـــلا مِـــنْ بَأْسِـــهِ ... وَقَتـــيلاً كابْنِـــهِ مِـــنْ يَأْسِـــهِ
كُلّمـــا فَكَّـــرَ فـــي فَرْدَوسِـــهِ ... يَتَهـــاوى غائبـــاً عَـــنْ حِسِّـــهِ
مِثْلَـــهُ صَـــوَّرَني فـــي قُدْسِـــهِ ... ثُـــمَّ قـــالَ: الـــرَّبُّ أَمّـــي وَأبـــي
إنَّ نَفْســـي نَفَـــسٌ مِـــنْ نَفْسِـــهِ ... سَـــوفَ يَمْضـــي بـــي إلـــى فَرْدَوسِـــهِ

***

مُشْـــرِفاً مِـــنْ جَبَـــلِ الرُّؤْيـــا رَأى ... جَنَّـــةَ الفَـــرْدَوسِ نَجْـــوى قَلْبِـــهِ
وَرَأى هابيـــلَ فـــي فَرْدَوسِـــهِ ... فَرِحـــاً مُغْتَبِطـــاً فـــي رَبِّـــهِ
سَـــمِعَ الـــرَّبَّ يُناديـــهِ وَلَـــمْ ... يَـــتَكَلّمْ كِلْمَـــةً عَـــنْ ذَنْبِـــهِ
فَرَمـــى الـــدُّنْيا وَمـــا فيهـــا إلـــى ... كَلْبِـــهِ ثُـــمَّ مَشـــى فـــي دَرْبِـــهِ

***

كُـــلُّ رَبْـــعٍ بَعْـــدَ لَأْيٍ يَصْـــطَفيهْ ... يَعْتَريـــهِ سَـــأَمٌ إنْ حَـــلَّ فيـــهْ
كُلّمـــا اسْـــتَوقَفَهُ رَبْـــعٌ جَديـــدْ ... لَـــمْ يَجِـــدْ إلا الّـــذي لا يَشْـــتَهيهْ
مِـــنْ وَراءِ الأُفْـــقِ نـــاداهُ البَعيـــدْ ... فَأغَـــذَّ السَّـــيرَ مِـــنْ تيـــهٍ لِتيـــهْ
يَطْلُـــبُ الفَـــرْدوسَ مَـــأْواهُ الرَّغيـــدْ ... لِيَـــراهُ وَيَـــرى هابيـــلَ فيـــهْ

***

كـــانَ يَسْـــهى عَـــنْ طَعـــامٍ وَمَنـــامْ ... وَيُنـــاجي روحَ غاليـــهِ الفَقيـــد
أيـــنَ أنْـــتَ اليَـــومَ؟ عُـــدْ يـــا ابْنـــي الهُمـــامْ ... فَـــأبوكَ اليَـــومَ فـــي حُـــزْنٍ شَـــديد
فَيُطِـــلُّ الابْـــنُ كَالبَـــدْرِ التَّمـــامْ ... قـــائلاً: يـــا أبَتـــي مـــاذا تُريـــدْ؟
فَيَهُـــبُّ الأبُ مِـــنْ حُلْـــمِ المَنـــامْ ... ثُـــمَّ يَبْكـــي كَبُكـــا الطِّفْـــلِ الوَليـــد

***

جَـــفَّ دَمْـــعٌ ذَرَفَتْـــهُ مُقْلتـــاهْ ... حـــينَ عـــزّاهُ بِطِفْلَـــينِ الإلـــهْ
يَـــومَ ميلادِهمـــا قَـــدْ بَكَيـــا ... لِبُكـــا الوالِـــدِ حَتّـــى عَزَّيـــاهْ
وَأحَسَّـــتْ نَفْسُـــهُ إذْ ضَـــحِكا ... بِالإلـــهِ الـــرَّبِّ يَـــأتي مِـــنْ سَـــماه
ذِكْرَيـــاتٌ لَذَعَتْـــهُ فَبَكـــى ... ثُـــمَّ غَنّـــى وَتَثَنّـــى مِـــنْ أســـاه

***

أتَعـــي يـــا وَلَـــدي مـــا أنـــا فيـــهْ ... أمْ قَســـا الابْـــنُ عَلـــى قَلْـــبِ أبيـــهْ
قَـــدْ بَـــراكَ الـــرَّبُّ يـــا ابْـــنَ الـــرَّبِّ مِـــنْ ... نـــورِ عَينَيـــهِ وَمِـــنْ أنْفـــاسِ فيـــهْ
وَلِهـــذا كُنْـــتَ فَـــذّاً رائعـــاً ... مـــا لَـــهُ فـــي هـــذِهِ الـــدُّنْيا شَـــبيهْ
وَلِهـــذا ضَـــمَّكَ الـــرَّبُّ إلـــى ... قَلْبِـــهِ المُشْـــتاقِ كَـــي تَسْـــكُنَ فيـــهْ

***

مُهْجَتـــي فـــي بَحْـــرِ حُزْنـــي راحِلَـــهْ ... وَهْـــيَ لَـــنْ تَبْلُـــغَ يَومـــاً ســـاحِلَهْ
قَـــدْ جَفَـــتْ روحُـــكَ روحـــي خـــالِقي ... فَـــذَوَتْ روحـــي كَـــأرْضٍ قاحِلَـــهْ
وَحْـــدَهُ الـــرَّبُّ يَـــدوسُ البَحْـــرَ مِـــنْ ... دونِ أنْ يَبْلُـــــغَ مـــــاءٌ كاحِلَـــــهْ
فَـــامْشِ يـــا مَـــنْ يَطَـــأ البَحْـــرَ عَلـــى ... بَحْـــرِ حُزْنـــي وَابْلُغَـــنْ بـــي ســـاحِلَهْ

***

مُسْـــــتَغيثاً بِـــــكَ لا تُسْـــــعِفُني ... أيُّهـــــا الـــــرَّبُّ أمـــــا تَعْرِفُنـــــي؟
أنْظُـــــر اَللّهُـــــمَّ إنّـــــي آدَمٌ ... جَسَـــدي قَبْـــري وَجِلْـــدي كَفَنـــي
أنـــا مَـــنْ أوصَـــيتَهُ فـــي عَـــدَنٍ ... فَعَصـــى حَتّـــى ارْتَمـــى فـــي العَفَـــنِ
بَرُصَـــتْ نَفْســـي وَمـــا لـــي مُسْـــعِفٌ ... غَيـــرَ رَبّـــي فَمَتـــى تُسْـــعِفُني؟

***

بِـــكَ رَبّـــي مِـــنْ حَيـــاتي أحْتَمـــي ... بَعْـــدَ مَـــوتِ ابْنـــي حَيـــاتي مَـــأتَمي
لَـــمْ أكُـــنْ أعْـــرِفُ مـــا المَـــوتُ إلـــى ... أنْ رَأيـــتُ ابْنـــي قَتـــيلاً يَرْتَمـــي
قُتِـــلَ ابْنـــي بِيَـــدِ ابْنـــي وَأنـــا ... الوالِـــدُ المَفْجـــوعُ أعْتـــى مُجْـــرِم
جَلَـــلٌ ذَنْبـــي عَظـــيمٌ نَـــدَمي ... فَـــاعْفُ عَنّـــي رَبِّ أو فَاسْـــفُكْ دَمـــي

***

هـــا بُكـــائي مِـــنْ صَـــباحي لِمَســـائي ... وَنُـــواحي مِـــنْ مَســـائي لِصَـــباحي
نَـــوحُ أحْشـــائي عَـــلا حَتّـــى السَّـــماءِ ... خانِقـــاً فـــي لُجَّـــةِ الحُـــزْنِ صِـــياحي
شَـــرِبَ الحُـــزْنُ دِمـــائي مَـــعَ مـــائي ... وَأبـــى أنْ يُطْلِـــقَ المَـــوتُ سَـــراحي
كَسَـــرَ الحُـــزْنُ جَنـــاحي فـــي سَـــمائي ... فَمَتـــى تُبْـــرِئُ يـــا رَبُّ جَنـــاحي؟

***

هـــا أنـــا مِـــنْ شِـــدَّةِ الحُـــزْنِ أمـــوتْ ... كُـــلَّ يَـــومٍ مِثْـــلَ مَـــوتِ العَنْكَبـــوتْ
سَـــوفَ أمْضـــي أدْخُـــلُ الفَـــرْدَوسَ كَـــي ... أبْصِـــرَ المَعْبـــودَ رَبَّ الصَّـــبَؤوتْ
إنَّـــهُ رَبّـــي وَأمّـــي وَأبـــي ... فـــي يَدَيـــهِ سَـــوفَ أبْكـــي وَأمـــوتْ
لا أَبـــالي بِـــالكَروبيمِ وَلا ... سَـــيفِ نـــارٍ فَـــأبي مَـــنْ لا يَمـــوتْ

***

أنـــا أخْطَـــأتُ إلهـــي فَلأمُـــتْ ... وَلْـــتَكُنْ ضَـــرْبَةُ مَـــوتي هائلَـــهْ
أخْطَـــأتْ حَـــوّاءُ أيضـــاً فَلْتَمُـــتْ ... هِـــيَ ضِـــلْعٌ مِـــنْ ضُـــلوعي المائلَـــهْ
قاتِـــلٌ قـــابيلُ بِكْـــري فَلْيَمُـــتْ ... صَـــولَةُ الـــرَّبِّ بِعَـــدْلٍ صـــائلَهْ

فَلِمـــــاذا مـــــاتَ هابيـــــلُ وَمـــــا ... قُلْـــتَ لـــي: إنْ تَعْـــصَ أَفْـــنِ العائلَـــهْ؟

***

وَهَـــوى آدَمُ أرْضـــاً مِـــنْ أســـاه ... مِثْـــلَ نَسْـــرٍ يَتَهـــاوى فـــي دِمـــاه
غَـــرِقَ المَحْـــزونُ فـــي النَّـــومِ إلـــى ... أنْ رَأى فـــي حُلْمِـــهِ الـــرَّبَّ الإلـــهْ
كـــانَ قَلْـــبُ الـــرَّبِّ يَبْكـــي مَعَـــهُ ... ثُـــمَّ قـــالَ الـــرَّبُّ مِـــنْ عـــالي سَـــماه
إنْ يَكُـــنْ مـــاتَ ابْنُـــكَ البـــارُّ فَهـــا ... هُـــوَذا ابْنـــي البـــارُّ قَـــدْ مـــاتَ فِـــداه

***

اِنْتَحـــى جَـــدْوَلَ مـــاءٍ وَانْحَنـــى ... فَـــرَأى فـــي مائـــهِ وَجْـــهَ العَنـــا
حَـــدَّقَتْ عَينـــاهُ فـــي صـــورَتِهِ ... حَمْلَـــقَ المَفْجـــوعُ فيهـــا وَرَنـــا
ثُـــمَّ دَوَّى صَـــوتُهُ وِسْـــعَ الـــدُّنى ... يـــا إلهـــي مَـــنْ أرى لَـــيسَ أنـــا
أَلْـــفَ عـــامٍ لَـــمْ أعِـــشْ بَعْـــدُ فَمِـــنْ ... أيـــنَ جـــاءَتْ شَـــيبَتي بِنْـــتُ الفَنـــا؟

***

كُنْـــتُ يَـــومَ الخَلْـــقِ فـــي عِـــزِّ الشَّـــبابِ ... فَلِمـــاذا غَضَّـــنَ الشَّـــيبُ إهـــابي؟
وَلِمـــاذا صِـــرْتُ شَـــيخاً هَرِمـــاً ... بَعْـــدَ أنْ صُـــوِّرْتُ شـــابًّا كَالشِّـــهابِ؟
هِـــيَ أيّـــامي المَناكيـــدُ الّتـــي ... نَهَشَـــتْني كَـــذِئابٍ وَكِـــلابِ
رُدَّنـــي رَبّـــي كَمـــا صَـــوَّرْتَني ... مُنْـــذُ بَـــدْءِ الخَلْـــقِ فـــي عِـــزِّ الشَّـــبابِ

***

أنـــا أعْمـــى سَـــنَدي الهـــادي النَّصـــيرْ ... وَالإلـــهُ الـــرَّبُّ هـــادِيَّ البَصـــيرْ
مـــا هُـــوَ المَـــوتُ؟ هَـــلِ المَـــوتُ الفَنـــا؟ ... أمْ سَـــنَحْيا وَإلـــى الـــرَّبِّ المَصـــيرْ؟
وَلِمـــاذا نُنْجِـــبُ الأولادَ مِـــنْ ... أجْـــلِ عُمْـــرٍ فـــي فَـــمِ المَـــوتِ قَصـــيرْ؟
أَلْـــفَ عـــامٍ لَـــمْ أعِـــشْ بَعْـــدُ وَهـــا ... شـــابَ شَـــعْري وَحَكـــى قَـــشَّ الحَصـــيرْ

***

أنْـــتَ سِـــرٌّ فَـــوقَ آفـــاقِ الدِّرايَـــهْ ... فَـــوقَ عَقْلـــي وَخيـــالي لَـــكَ رايَـــهْ
كُـــلُّ نَفْـــسٍ حَيَّـــةٍ أو نَفَـــسٌ ... أنْـــتَ مَـــنْ يُجْريـــهِ فيهـــا لَـــكَ آيَـــهْ
تَشْـــهَدُ الأكْـــوانُ أرْضـــاً وَسَـــما ... أنَّ لِلخَـــلاّقِ مُنْـــذُ الخُلْـــقِ غايَـــهْ
كـــانَ لـــي فَـــرْدَوسُ دُنْيـــاكَ البِدايَـــهْ ... فَلْـــيَكُنْ فَـــرْدَوسُ أُقْيـــاكَ النِّهايَـــهْ

***

كَـمْ بَكـى الأطْفـالُ فـي طَـورِ الرُّجولَـهْ ... بَـينَ شَـوكِ الأرْضِ فَـرْدَوسَ الطّفولَـهْ
وَأنـــا المَخْلـــوقُ مَحْـــرومُ الطّفولَـــهْ ... لـــي خَيـــالٌ شَـــدَّ إلَيهـــا خُيولَـــهْ

فَكَبَـــتْ خَيلـــي أمـــامَ البـــابِ إذْ ... حَـــرَّمَ الـــرَّبُّ عَلـــى خَيلـــي دُخولَـــهْ
رُدَّ لـــي الفَـــرْدَوسَ رَبّـــي إنَّنـــي ... لَـــمْ أعِـــشْ فَـــرْدَوسَ أيّـــامِ الطّفولَـــهْ

***

مُشْـــرِفاً مِـــنْ جَبَـــلِ الرُّؤْيـــا رَأى ... اللّيـــلَ يُطّفـــي نـــورَ بَيـــتِ المَعْرِفَـــه
وَرَأى الأنْجُـــمَ مِـــنْ هَـــولِ الفَضـــا ... فـــي الـــدُّجى خائفَـــةً مُرْتَجِفَـــه
وَرَأى كُـــلَّ الّـــذي يَعْرِفُـــهُ ... بَعْـــدَ أنْ مـــاتَ ابْنُـــهُ مَحْـــضَ سَـــفَهْ
وَرَأى فـــي عَقْلِـــهِ الـــرَّبَّ الّـــذي ... زَانَـــهُ بِالعَقْـــلِ سِـــرَّ المَعْرِفَـــه

***

وَرَأى الأوطـــانَ وَالأدْيـــانَ إنْ ... وَسْـــوَسَ الشَّـــيطانُ قَتْلـــى المِحَـــنِ
كُلّمـــا أطْفَـــأ عَقْـــلٌ مِحْنَـــةً ... أشْـــعَلَتْها فِـــتَنٌ بِـــالإحَنِ
وَرَأى كُـــلَّ امْتِحـــانٍ مِحْنَـــةً ... كُلّمـــا أغْـــوى هَـــوى المُمْـــتَحَنِ
وَبَكـــى صـــاحَ: امْتِحـــانٌ واحِـــدٌ ... كُـــلَّ يَـــومٍ ذِكْـــرُهُ يَـــذْبَحُني

***

أنْـــتَ حـــانٌّ يـــا إلـــهَ الصَّـــبَؤوتْ ... وَحَنـــونٌ يـــا عَظـــيمَ الجَبَـــروتْ
إنَّنـــي مُعْتَـــرِفٌ أنَّـــكَ قَـــد ... قُلْـــتَ لـــي: إنْ تَعْصَـــني مَوتـــاً تَمـــوتْ
غَيـــرَ أنَّ الـــرَّبَّ لَـــنْ يَتْرُكَنـــي ... فـــي شِـــباكِ المَـــوتِ مِثْـــلَ العَنْكَبـــوتْ
أيـــنَ حُـــبُّ الأبِ لابْـــنٍ؟ أيَمـــوتْ ... حـــينَ يَعْصـــى الأبَ فـــي حَبَّـــةِ تـــوتْ؟

***

أيُّهـــا الخـــالِقُ خَنْـــقٌ كَرَبـــي ... مُنْـــذُ خَلْقـــي مِـــنْ تُـــرابٍ تَـــرِبِ
يَضْـــحَكُ المَولـــودُ مِـــنْ بَعْـــدِ البُكـــا ... حينَمـــا يَنْطَـــقُ: أمّـــي وَأبـــي
وَأنـــا المَخْلـــوقُ مَحْـــرومٌ أنـــا ... مِـــنْ حَنـــانِ الأمِّ أو عَطْـــفِ الأبِ
كُـــنْ أبـــي رَبّـــي وَأمّـــي ســـاوِني ... بِالمَواليـــدِ بِبِنْـــتٍ أو صَـــبي

***

أنْ يَكـــونَ الـــرَّبُّ أمّـــي وَأبـــي ... هُـــوَ أنْ تَرْتـــاحَ روحـــي وَأكـــونْ
فَـــإذا أنْكَرَنـــي الـــرَّبُّ الحَنـــونْ ... فَـــأبي التُّرْبَـــةُ وَالأمُّ المَنـــونْ
كُـــلُّ ريـــحٍ دَوَّنَـــتْ فـــي مُهْجَتـــي ... فـــي خَـــلاصِ الـــرَّبِّ لِلـــرّوحِ السُّـــكونْ
لِخَلاصـــي أَلْتَجـــي مُشْـــكِلَتي ... أنْ يَكـــونَ المُلْتَجـــي أو لا يَكـــونْ

***

مـــا عَرَفْـــتُ الخَيـــرَ وَالشَّـــرَّ أنـــا ... إذْ عَصَـــيتُ الـــرَّبَّ فـــي طَـــيشِ الصَّـــبي

بَعْـــدَ أنْ ضَـــيَّعْتُ فَـــرْدَوسَ الهَنـــا ... كُـــلُّ مـــا أدْرَكْتُـــهُ أنّـــي غَبـــي
مُـــــذْنِبٌ مِـــــنْ دونِ أمٍّ وَأبٍ ... عَظُـــمَ الـــذَّنْبُ وَعُـــذْرُ المُـــذْنِبِ
وَأنـــا آتيـــكَ رَبّـــي تائبـــاً ... فَتَلَقّـــاني كَـــأمّي وَأبـــي

***

كُـــلُّ خَـــوفي وَأنينـــي فـــي يَـــدَيكْ ... وَحَنينـــي فـــائضٌ مِنْـــكَ إلَيـــكْ
مـــا شِـــفائي هـــذِهِ الأرْضُ الرَّدِيَّـــه ... الشِّـــفا وَالقَلْـــبُ يـــا رَبُّ لَـــدَيكْ
أيـــنَ أمْضـــي وَالحَيـــاةُ الأبَدِيَّـــه ... كُـــلُّ مـــا أسْـــمَعُهُ مِـــنْ شَـــفَتَيكْ
عُـــدْتُ رَبّـــي وَمَعـــي قَلْبـــي هَدِيَّـــه ... ضَـــعْهُ كَالخـــاتَمِ فـــي إحْـــدى يَـــدَيكْ

***

يـــا إلهـــي هـــا تَـــرى صُـــنْعَ يَـــدَيكْ ... أنـــا حَتّـــى المَـــوتِ مُشْـــتاقٌ إلَيـــكْ
تـــارِكٌ أرْضـــي وَآتٍ قُـــدُماً ... بِـــدُموعٍ تَتَشَـــهّى قَـــدَمَيكْ
أنـــا آتيـــكَ إلهـــي تائبـــاً ... لا لِكَـــي أهْـــرِبَ مِـــنْ مَـــوتي لَـــدَيكْ
بَـــلْ أنـــا آتٍ إلهـــي ضـــارِعاً ... لأمـــوتَ اليَـــومَ حُبَّـــا فـــي يَـــدَيكْ

***

أنـــا آتيـــكَ إلهـــي كَحَمامَـــهْ ... أنـــا رَبّـــي لاجِـــئٌ مُسْـــتَغْفِرٌ
فَـــوقَ بَحْـــرِ المَـــوتِ آتٍ فَلْـــتُحِطّ ... روحُ بـــارِيَّ بِروحـــي كَغَمامَـــهْ
مِـــنْ بِـــلادِ المَـــوتِ آتٍ لاجِئـــاً ... لِـــبِلادِ الـــرَّبِّ فَـــرْدَوسِ الكَرامَـــه
أنـــا رَبّـــي لاجِـــئٌ مُسْـــتَغْفِرٌ ... فَـــاغْفُرَنْ ذَنْبِـــيَ وَامْنَحْنـــي إقامَـــهْ

***

أنـــا مـــا أوجَـــدْتُ نَفْســـي بِيَـــدي ... لا وَلا أحْيَيـــتُ يَومـــاً جَسَـــدي
أنـــا مـــا أعْطَيـــتُ نَفْســـي نَفَســـاً ... غَيـــرَ مـــا أعْطـــى إلهـــي السَّـــرْمَدي
أنـــا لا أضْـــمَنُ عُمْـــري لِغَـــد ... مِنْـــكَ أمْســـي بِـــكَ يَـــومي وَغَـــدي
غَيـــرَ أنَّ القَلْـــبَ يـــا خالِقَـــهُ ... مـــا اشْـــتَهى إلا حَيـــاةَ الأبَـــد

***

أنْـــتَ أحْكَمْـــتَ وَحَتَّمْـــتَ قَضـــاكْ ... كَيـــفَ أنْجـــو يـــا إلهـــي مِـــنْ قَضـــاكْ
تَـــرْقُصُ الأنْجُـــمُ جَـــذْلى فـــي فَضـــاكْ ... وَعَلـــى آدَمَ ضَـــيَّقْتَ فَضـــاكْ
لَـــيسَ لـــي مِنْـــكَ خَـــلاصٌ فَلْـــيَكُنْ لـــي ... خَـــلاصٌ بِـــكَ مِـــنْ هَـــولِ لَظـــاكْ؟
إنْ تَكُـــنْ حَتَّمْـــتَ مَـــوتي بِقَضـــاكْ ... فَلأمُـــتْ حُبَّـــا وَأفْنـــى فـــي رِضـــاكْ

***

جَبَلَتْنـــي أيُّهـــا الـــرَّبُّ يَـــداكْ ... أنْـــتَ أَمّـــي وَأبـــي روحـــي فِـــداكْ
أنـــا آتيـــكَ إلـــى الفَـــرْدَوسِ كَـــي ... أَحْـــرِقَ القَلْـــبَ بَخـــوراً فـــي بَهـــاكْ
اِفْـــتَحِ الفَـــرْدَوسَ لـــي أخْـــزِ الهَـــلاكْ ... وَقِنـــي سَـــيفَ الكَـــروبيمِ المَـــلاكْ
فَـــإذا حَتَّمْـــتَ مَـــوتي فَأنـــا ... قَبْـــلَ مَـــوتي لـــي اشْـــتِهاءٌ أنْ أراكْ

***

قَبْـــلَ أنْ تُسْـــكِنَ فـــي الفَـــرْدَوسِ ذاتـــي ... كُنْـــتَ قَـــدْ أسْـــكَنْتَهُ فـــي كُنْـــهِ ذاتـــي
فَلِهـــذا تَـــرْكُضُ الـــنَّفْسُ إلـــى ... مائـــهِ رَكْـــضَ الظِّبـــاءِ الظامِئـــاتِ
وَلِهـــذا هُـــوَ أحْـــلامُ سُـــباتي ... وَهْـــوَ فـــي اليَقْظَـــةِ صَـــومي وَصَـــلاتي
فـــإذا لَـــمْ أسْـــتَعِدْهُ فـــي حَيـــاتي ... فَهْـــوَ حَتْمـــاً مَسْـــكِني بَعْـــدَ مَمـــاتي

***

أيُّهـــا المَوجـــودُ يـــا سِـــرّ الوُجـــود ... لَـــكَ صَـــومي وَصَـــلاتي وَسُـــجودي
رُدَّ لـــي فَرْدَوسِـــيَ المَفْقـــودَ كَـــي ... يُصْـــبِحَ المَوجـــودَ يـــا يُنْبـــوعَ جـــود
مـــا لِكَـــي تُعْـــدِمَني أوجَـــدْتَني ... يـــا عَظـــيمَ الجـــودِ يـــا سِـــرَّ وُجـــودي
فَـــإذا حَتَّمْـــتَ مَـــوتي فَهَنـــا ... حُبَّـــا فـــي يَـــدَي الـــرَّبِّ خُلـــودي

***

كُنْـــتُ فـــي الفَـــرْدَوسِ دَومـــاً مَـــنْ أنـــا ... وَأنـــا فـــي الأرْضِ مِـــنْ نَفْسِـــيَ هـــارِبْ
كـــانَ فـــي الفَـــرْدَوسِ مَشْـــروبي الهَنـــا ... وَهُنـــا التِّمْســـاحُ سُـــلْطانُ المَشـــارِبْ
كـــانَ روحُ الـــرَّبِّ يَحْيـــا بَيْنَنـــا ... وَهُنـــا الحَيّـــاتُ تَحْيـــا وَالعَقـــارِبْ
كُنْـــتُ أحْيـــا مَـــعَ حَـــوّا فـــي هَنـــا ... وَهُنـــا الأولادُ مَضْـــروبٌ وَضـــارِبْ

***

كُنْـــتُ فـــي جَنّـــاتِ فَرْدَوســـي الهَنِيَّـــهْ ... فَرْحَـــةً تَغْمُـــرُ قَلْـــبَ الأبَدِيَّـــهْ
أبْهَجَـــتْ فـــي كُـــلِّ يَـــومٍ مُهْجَتـــي ... بَهْجَـــةُ الـــرَّبِّ الإلـــهِ السَّـــرْمَدِيَّهْ
حَيثُمـــا جاسَـــتْ وَماسَـــتْ خُطْـــوَتي ... هَرَبَـــتْ مِـــنْ دَوسِ رِجْلِـــيَّ المَنِيَّـــهْ
ثُـــمَّ كانَـــتْ مُـــرَّ مَـــوتي سَـــقْطَتي ... يَـــومَ حَلّيـــتُ لِسـاني بِالخَطِيَّـــهْ

***

فـــي هَنـــا الفَـــرْدَوسِ فـــي الـــدُّنْيا الهَنِيَّـــهْ ... خَلَـــقَ الخَـــلاّقُ يَومـــاً لـــي هَدِيَّـــهْ

آيَـــــــةٌ لِلـــــــرَّبِّ رَبّانِيَّـــــــةْ ... وَجَمـــــالٌ مِـــنْ جَـــلالِ الأبَدِيَّـــهْ
صـــاحَتِ الأشْـــجارُ وَالأحْجـــارُ: يـــا ... رَبُّ سُـــبْحانَكَ مَـــنْ تِلْـــكَ البَهَيَّـــهْ؟
قَطَفَـــتْ حَـــوّاءُ قَلْبـــي فَهَـــوى ... مِـــنْ ضُـــلوعي فـــي راحَتيهـــا هَدِيَّـــهْ

***

حالَمـــا أبْصَـــرْتُ حَـــوّاءَ الحَبِيَّـــهْ ... بَهَـــرَتْ عَينَـــيَّ رُؤْيـــا نَبَوِيَّـــهْ
صِـــحْتُ: ضِـــلْعٌ مِـــنْ ضُـــلوعي هـــذِهِ ... وَاسْـــمُها حَـــوّاءُ أَمُّ البَشَـــرِيَّهْ
أنْـــتَ يـــا رَبّـــاهُ قَـــدْ نَـــوَّمْتَني ... قَبْـــلَ أنْ تَخْلُـــقَ مِـــنْ ضِـــلْعي الصَّـــبِيَّهْ
سَـــوفَ أفْـــديها بِروحـــي وَدَمـــي ... وَفُـــؤادي فـــي يَـــدَيها مَزْهَرِيَّـــهْ

***

قَبْـــلَ أنْ تُخْلَـــقَ حَـــوّاءُ البَهِيَّـــهْ ... عِشْـــتُ دَهْـــراً جُنَّـــةً دونَ هُوِيَّـــهْ
حالَمـــا أبْصَـــرْتُ حَـــوّاءَ غَـــدَتْ ... فِـــيَّ نَفْســـي ذاتَ نَفْـــسٍ وَشَـــهِيَّهْ
مُـــذْ تَجَلّـــتْ لِـــيَ حَـــوّاءُ جَلَـــتْ ... لِفُـــؤادي حِكْمَـــةَ الـــرَّبِّ الخَفِيَّـــهْ
جَنَّـــةٌ مِـــنْ دونَ حَـــواءَ البَهِيَّـــهْ ... هِـــيَ مَـــأوى جُنَّـــةٍ دونَ هُوِيَّـــهْ

***

قَبْـــلَ أنْ تُخْلَـــقَ حَـــوّاءُ البَهِيَّـــهْ ... كُنْـــتُ فـــي الجَنَّـــةِ مِـــنْ دونِ شَـــهِيَّهْ
حالَمـــا أبْصَـــرْتُ حَـــوّاءَ غَـــدَتْ ... فِـــيَّ نَفْســـي ذاتَ رُؤْيـــا نَبَوِيَّـــهْ
مُـــذْ تَجَلّـــتْ لِـــيَ حَـــوّاءُ رَأتْ ... فِـــيَّ نَفْســـي آيَـــةَ الـــرَّبِّ الجَلِيَّـــهْ
جَنَّـــةٌ مِـــنْ دونَ حَـــواءَ البَهِيَّـــهْ ... هِـــيَ مَـــأوى جُنَّـــةٍ دونَ هُوِيَّـــهْ

***

أصْـبَحَتْ حَـوّاءُ فـي صَـحْوي القَضِـيَّهْ ... وَإذا مـــا نِمْـــتُ أحْلامـــي الهَنِيَّـــهْ
أصْـــبَحَتْ أخْبارُهـــا أظْفارُهـــا ... فـــي أوارِ الجـــوعِ أطْبـــاقي الشَّـــهِيَّهْ
أصْـــبَحَتْ بَسْـــماتُها ضُـــحْكاتُها ... دائمـــاً أنْقـــى صَـــلاواتي النَّقِيَّـــهْ
ثُـــمَّ صـــارَتْ دونَ رَبّـــي رَبَّـــةً ... هكَـــذا دَمَّـــرَتِ الـــدُّنْيا الخَطِيَّـــهْ

***

سَـــكَنَتْ قَلْبِـــيَ حَـــوّاءُ البَهِيَّـــهْ ... فَامْتَطَـــتْ قَلْبـــي إلـــى عَقْلـــي الذَّكِيَّـــهْ
كُنْـــتُ مَحْرومـــاً مِـــنَ الأمِّ الحَنـــونْ ... فَغَـــدَتْ أمّـــي الّتـــي تَحْنـــو عَلَيَّـــهْ
كُـــلُّ مـــا تَـــأمُرُني أمّـــي يَكـــونْ ... عِنْـــدَ رِجْلَيهـــا مَـــعَ القَلْـــبِ هَدِيَّـــهْ
هكَـــذا دَلَّلْتُهـــا حَتّـــى الخَطِيَّـــهْ ... عِنْـــدَما أحْبَبْتُهـــا حَتّـــى الجُنـــونْ

***

بَعْـدَ أنْ أنْهـى بِ "كُـنْ" خَلْـقَ البَرِيَّـهْ ... وَبَـــرا آدَمَ مِـــنْ طـــينِ البَرِيَّـــهْ
وَرَأى كُـــلَّ الّـــذي أبْدَعَـــهُ ... حَسَـــناً جِـــدًّا عَظـــيمَ العَبْقَرِيَّـــهْ
فَكَّـــرَ الخَـــلاّقُ أنْ يَخْلُـــقَ لِلحُسْـــنِ ... وَجْهـــاً لا يُضـــاهى وَهُوِيَّـــهْ
فَرَنـــا الـــرَّبُّ طَـــويلاً قَبْـــلَ أنْ ... يَخْلُـــقَ الحَسْـــناءَ حَـــوّاءَ البَهِيَّـــهْ

***

مُقْلَتاهـــا فَجْـــرُ تـــاريخِ الحَنـــينْ ... لِفَنـــاءٍ فـــي جَـــلالِ الأبَدِيَّـــهْ
شَـــفَتاها رَسْـــمُ رَبِّ العـــالَمينْ ... فـــي السَّـــماواتِ تَســـابيحُ شَـــجِيَّهْ
وُجْنَتاهـــا شَـــعْرُها فَـــوقَ الجَبـــينْ ... مِـــنْ سَـــماءِ الـــرَّبِّ آيـــاتٌ جَلِيَّـــهْ
قَـــدْ سَـــقانا الـــرَّبُّ كَـــأسَ الأبَدِيَّـــهْ ... وَتَســـاقَينا بِأيـــدينا المَنِيَّـــهْ

***

قالَـــتِ الحَيَّـــةُ: يـــا حَـــوّا البَهِيَّـــهْ ... جَرِّبـــي فاكِهَـــةَ الـــرّوحِ الشَّـــهِيَّهْ
أبْهِجـــي قَلْبَـــكِ يـــا حَـــوّا البَهِيَّـــهْ ... رَطِّبـــي ثَغْـــرَكِ بِالطِّيـــبِ هَيَّـــهْ
أوَقـــالَ الـــرَّبُّ حَقّـــا حـــاذِرا ... ثَمَـــرَ الفَـــرْدَوسِ يـــا أحْلـــى صَـــبِيَّهْ؟
فَأجابَـــتْ: إنَّـــهُ قَـــالَ كُـــلا ... كُـــلَّ شَـــيءٍ مـــا عَـــدا هـــذي الرَّدِيَّـــهْ
إنْ تَـــذوقاها تَموتـــا فَاحْـــذَرا ... أنْ تَموتـــا واحْفُظـــا هـــذي الوَصِـــيَّهْ
قالَـــتِ الحَيَّـــةُ: هَـــلْ صَـــدَّقْتِهِ؟ ... جَرِّبيهـــا لَـــنْ تَموتـــا يـــا غَبِيَّـــهْ
سَتَصـــيرانِ إلهَـــينِ إذا ... ذُقْتُماهـــا لا نَبِيَّـــا وَنَبِيَّـــهْ
ثُـــمَّ ذاقَـــتْ وَأذاقَتْنـــي الخَطِيَّـــهْ ... وَابْتُلينـــا وَابْتَلـــى الـــدُّنْيا البَلِيَّـــهْ

***

كُـــلُّ سُـــؤْلي أيُّهـــا الـــرَّبُّ الكَـــريمْ ... حُبُّـــكَ المُحْيـــي الإلهِـــيُّ العَظـــيم
دونَ حُـــبِّ الـــرَّبِّ مَنْـــذا آدَمٌ؟ ... آدَمٌ إنْ حُـــرِمَ الـــرَّبَّ أديـــم
حُبُّـــكَ اللّهُـــمَّ فَـــرْدَوسُ النَّعـــيمْ ... وَجَفـــاءُ الـــرَّبِّ أهْـــوالُ الجَحـــيم
أرِنـــي حُبَّـــكَ رَبّـــي أحْيِنـــي ... بِنَـــدى غُفْرانِـــكَ المُحْيـــي الـــرَّميم

***

يـــا إلـــهَ القَلْـــبِ لَـــو كُنْـــتَ مَعـــي ... لَـــمْ يَمُـــتْ قَلْبـــي الّـــذي فـــي أضْـــلُعي
أنْـــتَ أحْيَيـــتَ تُرابـــي لِلبُكـــا ... لَيتَنـــي كُنْـــتُ تُرابـــاً لا يَعـــي
يـــا إلهـــاً قَـــدْ بَرانـــي وَاتَّكـــا ... لَخَـــلاصِ المُشْـــتَكي لَـــمْ يُسْـــرِعِ
أيُّهـــا البـــاري إلَيـــكَ المُشْـــتَكى ... قَـــدْ دَعَونـــاكَ وَإنْ لَـــمْ تَسْـــمَعِ

***

يـــا إلهـــي الحَـــيُّ لَـــو كُنْـــتَ مَعـــي ... مـــا تَجَـــرّا المَـــوتُ يُـــدْمي إصْـــبِعي

كَيــــفَ لِلمَــــوتِ إذا كُنْــــتَ مَعــــي ... أنْ يُميــتَ ابْنــي وَيُــدْمي أضْــلُعي؟
يــا إلهــي الحَــيُّ إنْ كُنْــتَ مَعــي ... فَــأقِمْ هابيــلَ وَامْسَــحْ أدْمُعــي
سَــــوفَ أدْري أنَّ فــــادِيَّ اسْــــمُهُ ... مَعَنــــا الــــرَّبُّ إذا كُنْــــتَ مَعــــي

***

وَرَأى فــي الحُلْــمِ مــا لَــمْ يُسْــمَعِ ... إنَّــــــهُ الأرْوَعُ بَــــــينَ الأرْوَعِ
هُــوَ مَصْــلوبٌ بَــريءٌ مــا شَــكا ... بَــينَ لِصَّــينِ مُــدَمّى الأضْــلُعِ
قــالَ: يــا آدَمُ مَغْفــورٌ لَكــا ... اِسْــمَعِ البُشْــرى مِــنَ الــرَّبِّ وَعِ
كُــفَّ عَــنْ شَــكْواكَ كَفْكِــفْ دَمْعَكــا ... سَــتَرى فَرْدَوسَــكَ اليَــومَ مَعــي

***

كُــلُّ مــا فــي نَفْسِــهِ أو رَأْسِــهِ ... حُلْــمُ العَــودِ إلــى فَرْدَوسِــهِ
عُمْــرُهُ طــالَ وَلكِــنْ قَلْبُــهُ ... ظَــلَّ طِفْــلاً حابِيــاً فــي أمْسِــهِ
مــا رَأى العَــيشَ سَــوى فــي المُرْتَجــى ... لا وَلا المَــوتَ سِــوى فــي يَأْسِــهِ
كُــلُّ مــا فــي أرْضِــهِ لَــمْ يُنْسِــهِ ... رَبَّــهُ وَالمَــوتَ فــي فَرْدَوسِــهِ

***

لِسَــماءِ الــرَّبِّ أنْغــامٌ شَــجِيَّهْ ... خَطَفَتْــهُ مِــنْ يَــدِ الأرْضِ الشَّــقِيَّهْ
غَمَرَتْــهُ فــي الأعــالي غُبْطَــةٌ ... لَــمْ يَسَــعْها غَيــرُ قَلْــبِ الأبَدِيَّــهْ
شَــعَرَ المَطْــرودُ مِــنْ فَرْدَوسِــهِ ... أنَّ قَلْــبَ الــرَّبِّ غُفْــرانُ الخَطِيَّــهْ
ســالَ مِــنْ عَينَيــهِ حــالاً دَمْعَــةٌ ... مَسَــحَتْها أَصْــبُعُ الــرَّبِّ الخَفِيَّــهْ

***

كانَــتِ الأرْضُ جَميعــاً مُقْتَنــاهْ ... وَغِنــى الــدُّنْيا وَمــا فيهــا غِنــاه
مَــعَ هــذا كُلِّمــا لاحَ غِنــاهْ ... لَــمْ يَلْــحْ فــي عَينِــهِ إلاّ فَنــاه
وَإذا مــا ازْدادَ فــي الحَقْــلِ جَنــاهْ ... لَــمْ يَــزِدْ فــي قَلْبِــهِ إلا أســاه
كــانَ مَهْمــا أحْــرَزَ القَلْــبُ المُنــى ... لا يُغَنّــي القَلْــبُ إلاّ لِمُنــاه
كُــلُّ مُلْــكٍ بَــينَ أرْضٍ وَسَــما ... كــانَ مَمْلوكــاً لَــهُ إلاّ رِضــاه
مَلَــكَ الــدُّنْيا وَظَلّــتْ أبَــداً ... خَفَقــاتُ القَلْــبِ آهــاً تِلْــوَ آه
قَلْــبَ الــرّيحَ كَمــا يَهْــوى هَــواهْ ... فَأطاعَتْــهُ وَهَبَّــتْ فــي هَــواه
وَأتَتْــهُ بِكُنــوزِ الأرْضِ لكِنَّــهُ ... لَــمْ يَلْــقَ فيهــا مُشْــتَهاه
ظَــلَّ فيــهِ القَلْــبُ خِلْــواً خالِيــاً ... خاوِيــاً كالــدّاءِ مِــنْ دونِ دَواه
لَــمْ يَجِــدْ لِلقَلْــبِ مَــنْ يَبْــرِؤهُ ... مِــنْ عُضــالِ الــداءِ إلاّ مَــنْ بَــراه

كـــانَ قَلْبـــاً لَـــمْ يَكُـــنْ مِـــنْ رَغْبَـــةٍ ... فيـــهِ إلاّ أنْ يَـــرى الـــرَّبَّ الإلـــهْ
لَـــمْ تَكُـــنْ حَـــوّاءُ تُحْييـــهِ وَلا ... سَـــرَّهُ قـــايينُ يَومـــاً مُـــذْ قَنـــاه
لا وَلا مِـــنْ بَعْـــدِ هابيـــلَ رَأى ... فـــي سِـــوى هابيـــلَ مِـــنْ نَسْـــلٍ عَـــزاه
كـــانَ مَطْـــروداً مِـــنَ الفَـــرْدوسِ مـــا ... عـــاشَ يَومـــاً واحِـــداً إلاّ بَكـــاه
مُشْـــرِفاً مِـــنْ جَبَـــلِ الرُّؤْيـــا رَأى ... نَسْـــلَهُ دَومـــاً أخـــاً يُفْنـــي أخـــاه
وَرَأى الأحْفـــادَ حَرْبـــاً وَدَمـــاً ... وَرَأى التّـــاريخَ يَجْـــري بِـــدِماه
وَرَأى أحْفـــادَهُ فـــي حَـــرْبِهِمْ ... كَـــذِئابٍ وَكِـــلابٍ وَشِـــياه
قَتَلـــوا مَـــنْ خَلَـــقَ الـــرَّبُّ وَصـــاحوا ... كَفَينـــا رَبَّنـــا شَـــرَّ عِـــداه
ل فَاشْـــمَأزَّتْ نَفْسُـــهُ مِمّـــا رَأى ... وَتَفَيّـــا مُشْـــمَئزًّا مِـــنْ رُؤاه
رَكَـــلَ الأرْضَ بِكَعْبَيـــهِ إلـــى ... خَلْفِـــهِ وَانْسَـــلَّ يَبْغـــي مُشْـــتَهاه
داسَ فـــي الصَّـــعْبِ عَلـــى الرُّعْـــبِ وَمـــا ... ارْتَعَشَـــتْ يَومـــاً مِـــنَ الرُّعْـــبِ يَـــداه
ســـارَ فـــي اللّيـــلِ وَفـــي وَيـــلِ الـــرَّدى ... رايَـــةَ الإقْـــدامِ ظَلّـــتْ قَـــدَماه
ســـارَ فـــي الهَـــولِ يَـــدوسُ الهَـــولَ فـــي ... كُـــلِّ صَـــحْراءٍ وَبَحْـــرٍ وَمَتـــاه
ســـارَ فـــي الغَمْـــرِ وَفـــي الجَمْـــرِ وَمـــا ... فَتَحَـــتْ آهٌ مِـــنَ الـــوَيلاتِ فـــاه
ســـارَ أيّامـــاً وَأعْوامـــاً إلـــى ... أنْ رَأى فـــي الأفْـــقِ فَـــرْدَوسَ هَـــواه

لَـــمْ يُرَوِّعْـــهُ مَـــلاكٌ مُمْسِـــكٌ ... سَـــيفَ نـــارٍ يَصْـــهَرُ الصَّـــخْرَ لَظـــاه
دَخَـــلَ الفَـــرْدَوسَ كَالسَّـــبْعِ وَفـــي ... وَسَـــطِ الفَـــرْدَوسِ أَلْقـــى بِعَصـــاه
ثُـــمَّ دَوَّى صَـــوتُهُ فَارْتَعَـــدَ الرَّعْـــدُ ... قَبْـــلَ البَـــرْقِ مِـــنْ هَـــولِ صَـــداهْ
أنْـــتَ يـــا رَبُّ حَنـــونٌ قـــادِرٌ ... وَحْـــدَكَ الحَـــيُّ الّـــذي مِنْـــهُ الحَيـــاه
يـــا إلـــهَ المُسْـــتَحيلاتِ الّـــذي ... جَبَلَتْنـــي مِـــنْ ثَـــرى الأرْضِ يَـــداه
رُدَّ لـــي هابيـــلَ حَيَّـــا لأراهْ ... فَـــأتى هابيـــلُ حَيَّـــا وَرَآه
صـــاحَ أيضـــاً: رُدَّ حَـــوّا لِتَـــراه ... فَأتَـــتْ حَـــوّاءُ حـــالاً لِلقـــاه
صـــاحَ أيضـــاً: رُدَّ قـــايينَ أخـــاهْ ... إنَّـــهُ ابْنـــي أنـــا مـــا زِلْـــتُ أبـــاهْ
فَـــأتى قـــايينُ يَبْكـــي تائبـــاً ... مُغْرِقـــاً بِالـــدَّمْعِ هابيـــلَ أخـــاه
صـــاحَ أيضـــاً: رُدَّنـــي شـــابًّا وفـــي ... الحـــالِ عـــادَ الشَّـــيخُ شـــابًّا فـــي بَهـــاه
صـــاحَ أيضـــاً: عُـــدْتُ لِلفَـــرْدَوسَ ذا ... وَطَنـــي الغـــالي وَلا أرْضـــى سِـــواه
لَـــنْ أذوقَ المَـــوتَ فيـــهِ أبَـــداً ... سَـــوفَ يُحْيينـــي مَـــدى الـــدَّهْرِ هَنـــاه
غَمَرَتْـــهُ غُبْطَـــةٌ غـــامِرَةٌ ... وَابْتِهـــاجٌ يُـــبْهِجُ الثّكْلـــى اعْتَـــراهْ
بَعْـــدَ يَـــومَينِ اعْتَـــراهُ سَـــأمٌ ... ضـــاقَتِ الأمْـــداءُ ذَرْعـــاً بِمَـــداه

وَبَكـــى مِـــنْ حُزْنِـــهِ وَانْهَمَـــرَتْ ... مِـــنْ مَآقيـــهِ دُمـــوعٌ مِـــنْ دِمـــاه
سَـــالَ مِـــنْ عَينَيـــهِ طوفـــانُ أسَـــىً ... وَمَحـــى الفَـــرْدَوسَ طوفـــانُ أســـاه
ثُـــمَّ دَوَّى فـــي الأعـــالي صَـــوتُهُ ... نـــاحَ نَوحـــاً صـــاحَ حَتّـــى شَـــقَّ فـــاه
عـــادَ لـــي الفَـــرْدَوسُ رَبّـــي وَبَهـــاهْ ... فَلِمـــاذا عـــادَ قَلْبـــي لِأســـاه
أنـــا يـــا رَبّـــاهُ فيـــهِ مُبْصِـــرٌ ... فَلِمـــاذا لا أرى الـــرَّبَّ الإلـــهْ؟
كُنْـــتَ قَـــدْ نـــادَيتَني: يـــا آدَمُ ... أيـــنَ أنْـــتَ الآنَ يـــا عاصـــي الإلـــهْ؟
وَأنـــا الآنَ أنـــادي: أيـــنَ ... أنْـــتَ اسْـــتَجِبْني أيُّهـــا الـــرَّبُّ الإلـــهْ
مَـــنْ بَرانـــي هـــا يَرانـــي جَيِّـــداً ... فَلِمـــاذا فَلِمـــاذا لا أراه
أنـــا خَلْـــقٌ دونَ أُمٍّ وَأبٍ ... أنـــا أُمّـــي وَأبـــي الـــرَّبُّ الإلـــهْ
أيُّهـــا الخـــالِقُ جافـــاني الرِّضـــى ... فـــيمَ أقْصـــى خـــالِقي عَنّـــي رِضـــاه؟
كُـــلُّ مـــا اسْـــتَعْطيتُهُ أعْطانِـــهِ ... كَمِيـــاهِ الغَمْـــرِ أنْـــداني نَـــداه
خـــالِقي جُـــدْتَ وَلكِـــنْ حـــاجَتي ... أنْ أنـــادي خـــالِقي: يـــا أبَتـــاه
شِـــئْتَ رَبّـــي لَـــكَ قَلْبـــي سَـــكَناً ... فَلِمـــاذا ســـاكِنُ القَلْـــبِ جَفـــاهْ؟
لَـــمْ تَعُـــدْ تَحْسَـــبُني ابْنـــاً لَـــمْ تَعُـــد ... رُدَّنـــي ابْنـــاً أيُّهـــا الـــرَّبُّ الإلـــهْ
لَـــيسَ لـــي الفَـــرْدَوسُ إلاّ لَعْنَـــةً ... حـــينَ لا يَغْفِـــرُ لـــي الـــرَّبُّ الإلـــهْ
غُبْطَـــةُ الفَـــرْدَوسِ أنْ تَغْفِـــرَ لـــي ... قَبْـــلَ مَـــوتي أيُّهـــا الـــرَّبُّ الإلـــهْ
أنـــا أخْطَـــأتُ وَإنّـــي نـــادِمٌ ... فَـــاعْفُ عَنّـــي أيُّهـــا الـــرَّبُّ الإلـــهْ
لَـــمْ يَكُـــنْ آدَمُ فـــي أوجِ ذَكـــاهْ ... أذْ عَصـــى الـــرَّبَّ وَلكِـــنْ فـــي غَبـــاه
مـــا دَرى بِالعَقْـــلِ أنَّ الخَيـــرَ مـــا ... أمَـــرَ الـــرَّبُّ لِيَحْيـــا فـــي رِضـــاه
مـــا دَرى بِالعَقْـــلِ أنَّ الشَّـــرَّ مـــا ... أبْغَـــضَ الـــرَّبُّ وَمـــا عَنْـــهُ نَهـــاه
مـــا رَأى فـــي طاعَـــةِ الـــرَّبِّ الحَيـــاهْ ... لا وَلا المَـــوتَ بِعِصْـــيانِ الإلـــهْ
ذُقْـــتُ سُـــمَّ المَـــوتِ فـــي مَعْصِـــيَةٍ ... بَعْـــدَ أنْ حَـــذَّرَني الـــرَّبُّ الإلـــهْ
فَلِمـــاذا فَلِمـــاذا لَـــمْ أمُـــتْ ... بَعْـــدَ أنْ أخْطَـــأتُ لِلـــرَّبِّ الإلـــهْ؟
وَلِمـــاذا لَـــمْ تَـــدَعْني طينَـــةً ... قَبْـــلَ أنْ أخْطِـــئَ لِلـــرَّبِّ الإلـــهْ؟
أوَمـــا أدْرَكْـــتَ قَـــبْلاً أنَّنـــي ... سَـوفَ أعْصـى وَسَـيُزْري بـي العُصـاهْ؟
يـــا إلهـــي لَـــمَ لَـــمْ تَكْسِـــرْ فَمـــي ... قَبْـــلَ أنْ تَلْمِـــسَ إثْمـــاً شَـــفَتاهْ؟
إنْ تَكُـــنْ يـــا رَبُّ لَـــنْ تَغْفِـــرُ لـــي ... فَـــامْحُ ذِكْـــري لا يُعَيِّرْنـــي السِّـــفاه
لا يَقولـــوا: خَسِـــرَ الفَـــرْدَوسَ مِـــنْ أجْـــلِ ... خَـــوخٍ أو أجـــاصٍ أو سِـــواه
لا تَـــدَعْني عِلْكَـــةً يَعْلِكُهـــا ... كُـــلَّ يَـــومٍ كُـــلُّ مَـــنْ يَفْـــتَحُ فـــاه
أوَتَرْضـــى أنْ يَقولـــوا: ... خَلَـــقَ الـــرَّبُّ إنْســـاناً وَلِلـــدّودِ رَمـــاهْ؟

أوَتَرْضـــــى أنْ يَقولـــــوا: إنَّـــــهُ ... لَـــيسَ مَوجـــوداً وَأعْمـــى مَـــنْ رَآهْ؟
أوَتَرْضـــــى أنْ يَقولـــــوا: إنَّـــــهُ ... لَـــيسَ جَـــوّاداً وَلا جـــادَتْ يَـــداهْ؟
أوَتَرْضـــــى أنْ يَقولـــــوا: قِصَّـــــةٌ ... كَأســـــاطيرِ المَجـــــانينِ السِّـــــفاهْ؟
وَيَقولـــــوا: خَلَـــــقَ پْـــــروميثيُسٌ ... أوَّلَ النّـــــاسِ وَبِالنّـــــارِ هَـــــداهْ؟

وَيَقولـــــوا: فَتَحَـــــتْ پانْـــــدورَةٌ ... عُلْبَـــــةَ الشَّـــــرِّ بِعِصْـــــيانِ الإلـــــهْ؟
أوَتَرْضـــــى أنْ يَقولـــــوا: آدَمٌ ... كـــانَ قَـــرْداً طَـــوَّرَ الغـــابُ ذَكـــاهْ؟
وَتَطَوَّرْنـــــا مِـــــنَ القِـــــرْدِ إلـــــى ... عُقَـــــلاءٍ شَـــــهِدوا أنْ لا إلـــــهْ؟
أوَيَرْضـــــى الأبُ أنْ يَشْـــــقى ابْنُـــــهُ ... أبَـــــدَ الـــــدَّهْرِ إذا يَومـــــاً عَصـــــاهْ؟
أنـــــا أخْطَـــــأتُ إلـــــى الـــــرَّبِّ الإلـــــهْ ... ذاكَ دائـــــي وَلَـــــدى الـــــرَّبِّ دَواه
قُلْـــتَ لـــي يـــا إيُّهـــا العـــادِلُ: إنْ ... تَعْـــصَ أمْـــري مُـــتَّ مَوتـــاً كَالعُصـــاه
وَإذا مـــا حَكَـــمَ العَـــدْلُ فَلَـــنْ ... يُبْطِـــلَ العـــادِلُ مـــا العَـــدْلُ قَضـــاه
فَـــاحْمِني مِـــنْ عَـــدْلِكَ اللهُـــمَّ فـــي ... حُبِّـــكَ الغـــامِرِ أغْمـــارَ المِيـــاه
أنْـــتَ بَحْـــرُ الحُـــبِّ وَالعَـــدْلِ مَعـــاً ... شُـــقَّ لـــي بَينَهُمـــا دَرْبَ النَّجـــاه
أنـــا رَبّـــي غـــافِرٌ لِابْنـــي الّـــذي ... قَتَـــلَ ابْنـــي وَدَهـــاني مـــا دَهـــاه
فَـــاغْفُرَنْ لِابْنِـــكَ مِثْلـــي يـــا أبـــي ... أيَفـــوقُ الابْـــنُ فـــي الصَّـــفْحِ أبـــاهْ؟

***

وَانْجَلـــى نـــورٌ حَنـــونٌ فـــي السَّـــما ... وَأجـــابَ الـــرَّبُّ مِـــنْ عـــالي سَـــماه
أنـــا باريـــكَ وَفاديـــكَ فَتُـــبْ ... تَـــرَ غُفْرانـــي عَلـــى غَمْـــرِ المِيـــاه
مَـــنْ أدارَ الظَّهْـــرَ لِلـــرَّبِّ فَلَـــنْ ... يُبْصِـــرَ الـــرَّبَّ وَلَـــنْ يَلْقـــى هُـــداه
فَـــأدِرْ وَجْهَـــكَ لِلـــرَّبِّ تَـــر ... الـــرَّبَّ نـــوراً يَغْمُـــرُ الـــدُّنْيا ضِـــياه
لَـــيسَ فـــي الفَـــرْدَوسِ لِلقَلْـــبِ هَنـــاهْ ... إنْ أضـــاعَ القَلْـــبُ فـــي الإثْـــمِ نَقـــاه
فـــي نَقـــاءِ القَلْـــبِ يَحْيـــا الـــرَّبُّ ... وَالقَلْـــبُ يَلْقـــى أبَـــدَ الـــدَّهْرِ هَنـــاه
كُـــلُّ فَـــرْدَوسٍ عَلـــى الأرْضِ إذا ... شـــابَهُ الإثْـــمُ فَنـــاءٌ مُنْتَهـــاه
إنَّمـــا الفَـــرْدَوسُ أيّـــامَ هَنـــاهْ ... كـــانَ روحـــي فيـــكَ يُهْنيـــكَ رِضـــاه
بَعْـــدَ أنْ أخْطَـــأتَ فيـــهِ لَـــمْ يَعُـــد ... غَيـــرَ أشْـــجارٍ وَعُشْـــبٍ وَمِيـــاه
إنَّنـــي أدْرى بِمَـــنْ صَـــوَّرْتُهُ ... هُـــوَ طـــينٌ نَفْخَتـــي فيـــهِ الحَيـــاه
فَـــإذا جَرَّدْتُـــهُ مِـــنْ نَفْخَتـــي ... عـــادَ طينـــا مِثْلَمـــا كـــانَ ابْتِـــداه
صـــورَتي فيـــهِ لِهـــذا لَـــنْ يَـــرى ... فـــي هَنـــا الفَـــرْدَوسِ فـــي إثْـــمٍ هَنـــاه
كـــانَ يَـــدْري سَـــبْقُ عِلْمـــي أنَّـــهُ ... سَـــوفَ يَعْصـــى الخـــالِقَ الـــرَّبَّ الإلـــهْ

وَقَضـــــى العَـــــدْلُ عَلَيـــــهِ أنَّـــــهُ ... بِـــــاقْتِرافِ الإثْـــــمِ مَحْتـــــومٌ فَنـــــاه

غَيـــرَ أنَّ الحُـــبَّ فـــي أقْصـــى مَـــداهْ ... قَـــدْ قَضـــى أمْـــراً عَظيمـــاً لِفِـــداه

وَتَلاقـــى العَـــدْلُ وَالحُـــبُّ مَعـــاً ... فـــي قَضـــاءٍ أحْكَـــمَ الـــرَّبُّ قَضـــاهْ

هكَـــذا أحْبَبْـــتُ خَلْقـــي هكَـــذا ... بَلَـــغُ الحُـــبُّ بِقَلْبـــي مُنْتَهـــاه

لَـــيسَ مِـــنْ حُـــبٍّ عَظـــيمٍ فَـــوقَ أنْ ... يَفْـــدِيَ الـــرَّبُّ خُطـــاةً بِفَتـــاه

إنَّـــهُ ابْنـــي وَسُـــروري إنَّـــهُ ... فـــي البَرايـــا فَـــرَحُ الـــرَّبِّ الإلـــهْ

أيُّهـــا الأمْـــواتُ سُـــرّوا أبَـــداً ... بِسُـــرورِ الخـــالِقِ الـــرَّبِّ الإلـــهْ

إنَّـــهُ ابْنـــي سَتُسَـــرّونَ بِـــهِ ... أبَـــدَ الـــدَّهْرِ كَمـــا سَـــرَّ أبـــاهْ

آدَمُ المَيـــتُ مُفَـــدًّى هُـــوَذا ... آدَمُ الحَـــيُّ مِـــنَ المَـــوتِ افْتَـــداه

وَبَنـــو آدَمَ أفْـــديهِمْ بِـــهِ ... وَأُسَـــمّيهِمْ بَنـــو الـــرَّبِّ الإلـــهْ

مُـــدْخِلٌ فَـــرْدَوسَ قَلْبـــي مَعَـــهُ ... أَمَمـــاً مَفْدِيَّـــةً كُرْمـــى دِمـــاه

سَـــيَتوبونَ وَيَـــأتونَ مِـــنَ ... الشَّـــرْقِ وَالغَـــرْبِ وَمِـــنْ كُـــلِّ اتِّجـــاهْ

أنـــا مِـــنْ شِـــدَّةِ حُبّـــي مُنْـــزِلٌ ... مِـــنْ سَـــمائي لِلـــوَرى خُبْـــزَ الحَيـــاه

كُـــلُّ مَـــنْ يَأكُلُـــهُ يَحْيـــا بِـــهِ ... فـــي هَنـــا مَمْلَكَـــةِ الـــرَّبِّ الإلـــهْ

مـــا أنـــا أنْقَـــصُ حُبًّـــا مِنْـــكَ يـــا ... آدَمُ العاصـــي وَيـــا بِكْـــرَ العُصـــاه

قَبْـــلَ أنْ تُجْبَـــلَ إنّـــي عـــازِمٌ ... أنْ أفَـــدّي بِالمَســـيحِ ابْنـــي الخُطـــاه

بَعْـــدَ أنْ أصْـــغى لِهـــذا آدَمٌ ... مـــاتَ حُبًّـــا فـــي يَـــدَي الـــرَّبِّ الإلـــهْ

سعد اسحق سعدي

أيلول ٢٠١٧ - 26 - 8